

شخصية المؤلف الطاغية ، التي ترى من خلالها الواقع . نساعة المؤلف تعطلت وكان عليه انتظار اصلاحها . من هنا يهتدي الى مهى الكرنك وتبدأ قصته معه . هنا نتعرف على جميع شخصيات الرواية . لكن معرفتنا بهم تبقى ناقصة . فالراوي يقتطع المعلومات والاحداث ، يضغطها حتى نصل الى النقطة الاساسية ، ظاهرة اختفاء الشبان من المهى . في القسم الاول تتدخل ثلاثة عوامل في بناء حركة الرواية :

السرمد التذخلي . هدف السرمد ليس الوصف ، أو الوقوف عند الظواهرات . انه سرمد تذخلي سيكولوجي . فلا يكتب الراوي بوصف الحالات ، بل يقوم بتفسيرها بشكل واضح . « ومن ركن الشباب انبثت الحماس فوارا كالمهدير . عند أكثرينهم يبدأ التاريخ بالثورة مخلفا وراءه جاهلية مردولة غامضة . انهم ابناؤها الحقيقيون ولولاها لتشرذ اكثرهم في الازقة والحواري والضياح » . يلعب تذخل الراوي في هذا السرمد دورا مزدوجا ، فهو يغطي الحيز الذي يتركه محفوظ عادة لسرده الموضوعي ، الذي يقوم بوضع الخلفية الموضوعية للرواية . كما يسمح بالمقابل بعملية ضغط لهذا الحيز تسقط عليه نقطة المنطلق ، فتكون بذلك قد شلت الخلفية الموضوعية ، دون ان تبسها ظاهريا .

الذكريات الموضوعية . تأتي الذكريات الموضوعية في بداية الرواية ، لتضع المسافة الحاسمة مع المشاعر الشخصية المتناقضة عادة . فالذكريات تصف من الخارج ، لا تدخل اللاوعي أو العوالم الخفية . تبقى مند حدود الظواهرات ، بل وتتشترك مع هذه الظواهرات في وضع الحدود الحاسمة . « سمعت عزفا وعلبلا ، شممت بخورا ، رأيت جسدا يتوج . راقصة ، نجمة عماد الدين ، الراقصة قرنظلة ، حلم الاربعينات الوردية » . وحين نصل الى الذكريات القريبة جدا ، والتي تساهم في صنع الحدث الروائي . فالذكريات الموضوعية تأتي بصيغة جديدة ، لتساهم من داخل السرمد التذخلي نفسه ، ولتشكل سدا منيعا في وجه التلوين غير الواضح ، الذي يسمح للعمل الروائي بقدره على الحركة .

الحوار . يأتي الحوار غالبا ، داخل السرمد . فهو لا يتمتع باستقلال نسبي . يصبح الحوار هنا

داخل خط مستقيم . فهناك بداية وهناك نهاية . وبين هذين الحدين تتطور الشخصيات للوصول الى نقطة اساسية : فالعزيمة كشفت تهافت البناء . والسكوت عن القمع كان أحد أسبابها الرئيسية . وتحول هذه النقطة الى بشارة جديدة . غموت حلمي حماده ، وعلاقة اسماعيل الشيخ بالفدائيين ، لا يحجبان الحقيقة الجديدة . التي تتجلى في منير أحمد ، رمز الجيل الجديد . انه عودة الى الوحدة القديمة ، التي تبحث عن الاصالاة دون الوقوع في السلفية ، والتي لا تتحجر عند عقيدة جامدة !

ب - القهر الاجتماعي : في تطويره للخط الروائي الواحد ، لا يهمل محفوظ اضاءة بعض الجوانب الاجتماعية التي تشكل خلفية ابطاله . فالضحايا هم طلاب . اثنان منهم ابراهيم وزينب من بيئة شعبية . والثالث الشيوعي من بيئة برجوازية صافية . يواجهون قهما غير متوقع . فالارهاب الذي يسقط عليهم فيقتل ادمهم ويهدم زينب واسماعيل هو ارهاب غير متوقع وغير مبرر . غير ان عدم اهبال الخلفية الاجتماعية ، لا يؤدي دائما الى الوصول الى القدرة على تضمينها داخل البنية الروائية . فنحن أساسا امام لوحة مجتزأة . محفوظ يحدد بشكل صارم مكان حركة روايته . فنحن اما في المهى او في زمن التذكر خارجه . اما الزمن الموضوعي البارد الذي يفرض صرامته على مجمل العمل الروائي فانه لا يفسح مجالا حتى لحظة الذكريات لاي تراجع عن وجهه الثابت . فلا مكان لتلك اللحظات التي تستطيع أن تلخص حركة اجتماعية متكاملة . لذلك تبقى امام مجموعة من الاحتمالات التي لا تستجمع نفسها داخل الحركة . بل تتجدد لتقمع اي حقل صراحي حقيقي . مؤكدة ابعاد الحركة الاجتماعية عن مسار الرواية ، حتى لا يختل الخيط الايديولوجي الموحد حول نقطة ثابتة .

البنية التقاطعية : يمزج محفوظ في روايته الجديدة ، بين التقطيع المتحرك الذي عرفناه في «ميرامار» والتقطيع التسجيلي الذي يميز «المرايا» . والواقع ان خفوت الحركة الاجتماعية في الرواية ، جعلتنا نكتشف صلاتها الكبيرة « بالمرايا » . فالطابع التسجيلي الذي يقترب من لغة الصحافة يهيم على العمل الروائي بأسره ، يقسم الكتاب الى قسمين : في القسم الاول يغلب الطابع السردي هناك على